المنهج النقدي والجدلي عند ابن حزم*

إعداد

أحمد حامد أحمد دسوقى

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

المقدمة

الحمد لله رب العالمين ، الذي لم يتخذ ولداً ولم يكن له شريك في الملك وخلق كل شيء فقدره تقديراً.

والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين صلاة وسلاماً يليقان بمقامه الكريم، ويرفعان له أعلى درجات التكريم أما بعد :

فلا شك أن الإسلام عند مجيئه ، أعلن أنه الحلقة الأخيرة في سلسلة الأديان ، وأنه بالتالي ورث أهم ما في الأديان ، وأضاف إلى ذلك ما تحتاجه البشرية في مسيرتها إلى يوم الدين .

وكان من أبرز علماء مقارنة الأديان فى الأندلس الإمام ابن حزم الاندلسى (٣٨٤ – ٤٥٦ هـ) – رحمه الله – والذي كان من أوائل العلماء الذين برعوا في علم مقارنة الأديان وكتابه (الفصل في الملل والنحل) أكبر شاهد على فصاحته وقوة منطقه وانفتاحه على الآخر ، ومحاورته والتواصل معه ، وهي خطوة جريئة إذا ما نظرنا إليها في ضوء مقاييس ذلك العصر، وتطلع الإمام ابن حزم إلى مقارنة الإسلام بغيره من الديانات ، ولاسيما الديانتين المسيحية واليهودية ، وانتقاله إلى دراسة الأديان من مستوى الوصف إلى مستوى أعمق ألا وهو مستوى النقد الصريح للتوراة ولأسفار العهدين القديم والجديد ، وهذا لُب منهجه الذي كان فاتحة علم مقارنة الأديان والنظر فيها .

وبناءً على ما سبق :فقد استخرت الله تعالى ، فى كتابة هذا البحث ، وقد اخترت الجانب الأقوى فى حياة الإمام ابن حزم العلمية ؛ وهو الجانب النقدى والجدلى .

ويسلط هذا البحث الضوء على :بيان منهجه فى نقد التوراة ، والإنجيل ، وموقفه من عقائد اليهود ، والنصارى ، ونقده لنصوص التوراة والإنجيل والأصول المنهجية لنقد الأديان ، ومصادره المكتوبة والشفهية ، ومناظرات الإمام ابن حزم لأصحاب الديانة اليهودية والنصرانية ، وأصحاب الفرق والمذاهب الفاسدة ، ونتائج هذه المناظرات ، ومدى جهوده فى كل ذلك .

---

* بحث مشتق من رسالة

أولاً : أسباب اختيار البحث :

١- لتعلقه بعلم مقارنة الأديان .

٢- حيث يشكل هذا العنوان قضيّة هامّة تشغل بال معظم الأشخاص في المجتمع، ويعتبر من أبرز الأسباب التي تقف وراء اختيار موضوعات الدراسات بشكل عام بغضّ النظر عن أنواع البحوث .

٣- أن يضيف البحث في هذه القضيّة شيئاً للمعرفة العلميّة ، من خلال اكتشاف معارف جديدة والتوصّل إلى حقيقة أو قاعدة لم يتمّ التوصل إليها مسبقاً ، أو يضيف شيئاً جديداً لحقيقة توصل إليها العلماء أو الباحثون مسبقاً في مجالٍ معينٍ ، أو بسبب فتح آفاقٍ جديدةٍ للأبحاث العلميّة الأخرى .

٤- أن هذا البحث سيكشف عن مقدار موسوعية الإمام وكثرة اطلاعه .

٥- مكانة الإمام العلمية ومعرفته للأديان والفِرق وقدرته على الجدل والمناظرة .

٦- أهمية مؤلفاته ومصنفاته بين باقي العلماء في بيان كتب المقالات والفِرق وأفكارهم ومبادئهم ، واهتمامه بالجانب التاريخي الوصفي لتلك المقالات .

ثانياً : أهداف البحث :

تسعى الدراسة إلى تحقيق عدة أهداف ، منها :

١- إظهار جهود الإمام ابن حزم في نقد الأديان والعقائد .

٢- خدمة جانب نقد الأديان في إنتاج الإمام ابن حزم الفكري وهو مجال إبداعي عند هذا الإمام الجليل .

٣- توضيح منهج الإمام ابن حزم في نقده للديانتين اليهودية والنصرانية مع نقد ما هو مخالف لعقيدة أهل السنة والجماعة .

٤- فتح المجال أمام الباحثين لدراسة موضوعات أخرى متعلقة بهذا الجانب من إنتاج هذا العالم الجليل .

٥- الوقوف على القواعد المنهجية العلمية والخطوات العملية التي سار عليها ابن حزم في نقده للأديان .

ثالثاً : منهج البحث :

سأسير بتوفيق الله تعالى حسب الخطوات التالية :

١- الالتزام بالمنهج العلمي بالرجوع إلى المصادر الأصلية ، واتباع خطوات البحث العلمي ما استطعت إلى ذلك سبيلاً .

٢- استخدمت في هذا البحث غير واحد من مناهج البحث العلمي ، حيث استخدمت المنهج (الاستقرائي التام – والذى يقوم على الملاحظة ، وتتبع الجزئيات) ، والذى يتلاءم ويتناسب مع طبيعة الموضوع المختار .

٣- حيث قمت باستقراء أقوال الإمام ابن حزم فيما يختص بقضايا المرأة وتتبعه لمناهج بحث مختلفة ، مثل :

(المنهج التاريخي ، والنقدي ، والجدلي ، وكذلك المنهج اللغوي ، وغيرهم من المناهج) .

ثم استخدام المنهج النقدي فى الآراء التى انفرد بها العلامة ابن حزم ، مخالفاً بذلك ما اتفق عليه الجمهور ، مع بيان العلة من المخالفة ، ومدى قربه وبعده من الأسس والمبادئ التي بني عليها أهل السنة مذهبهم وطريقتهم .

٤- دللت على مواضع الآيات في المصحف الشريف ، ذاكراً اسم السورة ورقم الآية .

٥- كما قمت بتخريج الأحاديث الواردة عن رسول الله – صلى الله عليه وسلم – من مصادرها الأصلية ، مكتفياً بتخريجه من الصحيحين إن كان فيهما ، أو في أحدهما، لإجماع الأمة على صحتهما، فإن لم يكن فيهما معاً أو في أحدهما ، فأقوم بعزوه إلى مصادره في كتب السنن الأربع ، وغيرها من كتب الحديث ، مبيناً درجة الحديث من الصحة والضعف، مع ذكر تعليقات العلماء عليه إن وجدت.

٦- ترجمة الأعلام ترجمة مختصرة عند أول موضع يرد فيه العَلَم .

٧- التعريف بالمصطلحات العلمية ، والألفاظ الغريبة التى وردت فى البحث .

٨- إذا أطلقت لفظ الإمام فإنما قصدت به الإمام ابن حزم رحمه الله تعالى .

<u>وبعد</u> : فإني أحمد الله أن هداني للعلم الشرعي إذ هو حياة القلوب وصلاح النفوس ، وأستغفره عن التقصير فيه طلباً وعملاً .

رابعاً : خطة البحث:

اقتضت طبيعة هذا البحث أن يتكون من مقدمة ، وتمهيد ، وفصلان (وفى كل فصلٍ مبحثان) ، وخاتمة ، وفهارس .

ويمكن عرض خطة البحث الإجمالية على النحو الآتي :

المقدمة وقد اشتملت على :.

أولاً : أهمية الموضوع وأسباب اختياره

ثانياً : أهداف البحث

ثالثاً : خطة البحث

رابعاً : منهج البحث

ثم التمهيد :

الفصل الأول : المنهج النقدى عند ابن حزم

المبحث الأول : المنهج عند المسلمين

المبحث الثاني : منهجه فى البحث التاريخى ومقارنة الأديان

الفصل الثاني : المنهج الجدلى عند ابن حزم

المبحث الأول : المنهج الجدلي وسماته

المبحث الثاني : المنهج الجدلي عند الإمام ابن حزم

وبعد الانتهاء من هذه الفصول – بمشيئة الله تعالى – أتبعها بخاتمة أذكر فيها أهم النتائج التى توصلت إليها الدراسة ، ثم أتبعها بتوصيات الدراسة .

ثم ثبت المصادر والمراجع .

ثم فهرس الموضوعات .

والحمد لله رب العالمين

الفصل الأول : المنهج النقدي عند ابن حزم

مدخل :

لا جدال في أن مناهج البحث ، تعتبر من أخصب الحقول الفلسفية في العصر الحديث ، ويعتبر نقد النص من أهم الأسس المحورية لمنهج البحث التاريخي ، ولهذا بذل علماء المناهج جهدهم في تقنين أصول هذا النقد المنهجي للنصوص ، ووضع الضوابط الضرورية له ، ومن ثمة تطبيقها على الوثائق والمرويات .

ومما هو معروف لدى الباحثين في علم مناهج البحث ، قيام المنهج العلمي على قاعدتين أساسيتين :

١- النقد الخارجي

٢- النقد الداخلي للنصوص

ولذا يمكننا اعتبار الإمام من رواد هذا الفكر في تاريخ الإنسانية ، بل إنه رائد هذا النوع من البحوث في الفكر الإنسانى كله .

وبهذا المنهج انبرى العلامة ابن حزم لنقد اليهود والنصارى الذين أسسوا تاريخًا أسطوريًا ، مليئًا بالتزوير والتحريف ، للكشف عن حقيقته ، وبيان تهافته .

ويهدف هذا الفصل إلى إظهار قيمة الإمام ابن حزم النقدية ، وذلك من خلال نقده لنصوص التوراة والإنجيل ، وهو جانب شغل اهتمام الباحثين القدامى والمعاصرين ، من داخل الإسلام ومن خارجه ، ذلك أن دراسة الإمام ابن حزم النقدية تميزت بالسبق والتأصيل لما عرف بعد ذلك بمنهج : " نقد النص " ، ونتائجه التي توصل إليها كانت الأساس لمدارس نقدية في الغرب .

وقد استفادت هذه المدارس من المناهج التي استخدمها الإمام ابن حزم ، وأضافت إليها ما وفرته ظروف العصر من معلوماتٍ تاريخيةٍ ولغويةٍ وفلسفيةٍ .

وقد استفاد العلامة ابن حزم من خلال طريقتين :

الأولى : طريقة أهل الحديث

الثانية : منهجية التفكير الفلسفي

حيث تعتمد طريقة أهل الحديث على نقد السند والمتن ، مما كان له أثره الواضح على أحكامه التاريخية ، مع مراعاة التأكيد على أهمية الخبر والنقل والأثر بالنسبة للمذهب الظاهري .

أما عن قيمته الجدلية ، فقد أظهرت جانباً مهمًا من شخصيته التي غطت عليها مجادلاته للفقهاء ، ومناظراته مع المتكلمين .

وأكاد أجزم أن الإمام قد عرف بين جمهور كثير من المسلمين بإنفراداته الفقهية ، ومخالفاته للأئمة الأربعة وغيرهم ، ومخالفاته الكلامية ، وشدته في نقد خصومه من المسلمين .

لذلك أوليت الاهتمام في الكلام عما استخدمه الإمام ابن حزم من مناهج ، وخاصةً (المنهج النقدي ، والجدلي) وسمات كل منهج ، والقواعد المنهجية لنقد النصوص عند الإمام ابن حزم ، وإليك الكلام عن المبحث الأول من الفصل الاول وقد اختص ببيان المنهج النقدي عند الإمام ابن حزم – رحمه الله – .

المبحث الأول : المنهج عند المسلمين

يشكل المنهج العلمي مدخلًا لدراسة العلوم والمعارف لأي حضارةٍ أو ثقافةٍ ، ومن التأكيد أن المسلمين هم أول من وضع منهجاً علمياً دقيقاً لتمحيص الأخبار وتحليلها ، وهو منهج تنفرد به الحضارة الإسلامية .

ويؤكد هذا الدكتور فؤاد سركين : (لا شك أن المسلمين لهم السبق في وضع منهجٍ علميٍ لتمحيص الأخبار وتحليلها ونقدها ، وهذا جانب تنفرد به الحضارة الإسلامية ، ولا نعرف له في الحضارات الأخرى شبهاً)[١]

وتعليل هذا : أن المسلمين أرادوا الحفاظ على مصادر الشريعة ، وصيانتها من التحريف والتبديل ، حتى وضعوا قواعد لعلم مصطلح الحديث يمحص سندها ومتنها في علمي (الرواية والدراية) فنقحوا علم الحديث بدراسة السند والمتن وبيان العلل والشذوذ التي تؤثر في صحة الحديث ، ودرسوا حال الرجال ووضعوا قواعد للجرح والتعديل ، وبينوا درجات الحديث من حيث القبول والرد وهذه المنهجية العلمية في قبول الحديث ورده ، كانت أساساً لعقليةٍ نقديةٍ ، وقد استفاد الإمام ابن حزم من هذا المنهج في نقد التوراة وتحليلها ، فكانت دراسته لهذا المنهج تطبيقاً عملياً لما عرف بعد ذلك بمنهج نقد النص .

وعلى الرُغم من تفوقه في علم الحديث على الفقهاء المتأخرين ، فكان مثلهم في المنهج ، لا يعبئ شيئاً بعلل الحديث الذي عرفه الجهابذة من المتقدمين .

بل يُنكر علم علل الحديث من أصله ، مع أنه من أهم علوم الإسلام .

قال ابن القيّم – رحمه الله – في "الفروسية" فى الاختلاف على تصحيح ابن حزم لحديث : [وأما تصحيح أبي محمد بن حزم له ، فما أجدره بظاهريته وعدم التفاته إلى العلل والقرائن التي تمنع ثبوت الحديث ، بتصحيح مثل هذا الحديث وما هو دونه في الشذوذ والنكارة.

فتصحيحه للأحاديث المعلولة وإنكاره لنقلتها ، نظير إنكاره للمعاني والمناسبات والأقيسة التي يستوي فيها الأصل والفرع من كل وجه] [٢] .

لقد قام المنهج العلمي لدى العلماء المسلمين على أساس من الوحدانية المطلقة في العقيدة ، وذلك لأن وحدة العقيدة من أهم الأسباب التي تؤدي إلى توحيد الجهود الفكرية والعلمية نحو

---

[١] أ / محمود أحمد عويضة ، محاضرات فى تاريخ العلوم ، صـ ٤٣ ، طبعة مكتبة الرياض ، سنة الطبع ١٩٧٩م .

[٢] الإمام ابن القيم ، الفروسية المحمدية ، صـ ٢٤٦ ، ت / زائد بن أحمد النشيرى ، ط / مجمع الفقه الاسلامى / جدة ، سنة النشر ١٤٢٨هـ .

تقدم الأمة الإسلامية ، كما أن العلماء المسلمين قد بحثوا فيما يحيط بهم من أسرار الوجود وظواهر الطبيعة وذلك لتعميق إيمانهم بخالق الكون العظيم .

وقد استطاع علماء المسلمين أن يفكوا القيود الروحية الجامدة التي عطلت حرية البحث العلمي خلال العصور الوسطى ، وبلوروا حرية البحث العلمي بوحيٍ من تعاليم دينهم الحنيف الذي يحث على الدراسة والتفكير، على عكس ما كان يحدث في أوروبا التي كانت تعذب العلماء وترغمهم على الأفكار العقيمة.

لقد كان الخليفة المأمون رحمه الله (١٧٠ – ٢١٨هـ) يدفع للعلماء وزن ما يترجمونه ذهباً ، كما شمل الخلفاء المسلمون دور العلم والمعرفة بالرعاية والاهتمام .

أما علم أصول الفقه وعلاقته بالمنهج :(فإنه يعد من أكثر العلوم الإسلامية علاقة بمسألة المنهج ، بل ومن أكثر العلوم صورة وتعبيراً عن مسألة المنهج في العلوم الإسلامية ، وهو العلم الذي كشف عن وجود المنهج ، وعن ابتكار هذا المنهج عند المسلمين، وذلك باعتبار أن أصول الفقه في نظر الدارسين المسلمين قديماً وحديثاً ، هو من ثمرة العقل الإسلامي الخالص ، وأن المسلمين هم أول من ابتكروا هذا العلم الذي لا نجد له نظيراً لا عند اليونان والرومان في الغرب ، ولا عند البابليين والصين والهند وإيران ومصر في الشرق ، ولا في أي مكانٍ آخرٍ)[١].الأمر الذي يعني أن الحديث عن أصول الفقه ، هو من وجه آخر حديث عن المنهج في المجال الإسلامي ، وعن تاريخ وتطور هذا المنهج في ساحة الفكر الإسلامي. ومن أكثر النصوص القديمة أهمية ودلالة في هذا الشأن ، النص الذي يقارن فيه فخر الدين الرازي (٥٤٤ – ٦٠٦هـ ، ١١٥٠ – ١٢١٠م)[٢] بين الشافعي وأرسطو والخليل بن أحمد الفراهيدي[٣] فيقول في كتابه (مناقب

---

[١]محمد عابد الجابري. تكوين العقل العربي، الدار البيضاء: المركز الثقافي العربي، ٢٠٠٠م، ص٩٥.

[٢] أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الرازي الملقب بفخر الدين. ولد في الري بطبرستان، أخذ العلم عن كبار علماء عصره، ومنهم والده، حتى برع في علوم شتى واشتهر، فتوافد عليه الطلاب من كل مكان. كان الرازي عالمًا في التفسير وعلم الكلام والفلك والفلسفة وعلم الأصول وفي غيرها. ترك مؤلفات كثيرة تدل على غزارة علمه وسعة اطلاعه أبرزها تفسيره الكبير المعروف بمفاتيح الغيب، وهو تفسير جامعٌ لمسائل كثيرة في التفسير وغيره من العلوم التي تبدو دخيلة على القرآن الكريم، وقد غلب على تفسيره المذهب العقلي الذي كان يتبعه المعتزلة في التفسير، فحوى تفسيره كل غريب وغريبة كما قال ابن خلكان. اختُلف في سبب وفاته، وقيل مات مسمومًا. كتاب المحصول فى أصول الفقه ، للرازى ، ت / عادل أحمد عبد الموجود وآخرون ، ط / مكتبة نزار مصطفى الباز ، الرياض ، مكة المكرمة الطبعة الثانية ١٤٢٥هـ - ٢٠٠٤ م .

[٣] أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد بن عمرو بن تميم الفراهيدي البصري. وهو عربي الأصل من أزْد عُمان. لغوي ومعجمي ومنشئ علم العروض. نشأ الخليل بن أحمد بالبصرة وتربّى فيها، وكان مولعا بالدرس والبحث. وقد لازم حلقات أستاذيه عيسى بن عمر وأبي عمرو بن العلاء. وأمّا أستاذه عيسى بن عمر فقد كان إماماً في العربية والقراءات، وصنف كتابي الجامع والإكمال. وأبو عمرو بن العلاء كان أستاذاً للعربية وإماماً في دراستها. وقد روى الخليل عن أيوب وعاصم الأحول وغيرهما وأخذ عنه سيبويه والأصمعي والنضّر بن شُميَل. قال ابن المعتز: «كان الخليل منقطعًا إلى الليث فيما صنفه». وهو أستاذ سيبويه. والحكايات والمرويات المذكورة في كتاب سيبويه كلها مروية عن الخليل وكلما قال سيبويه ,وسألته·، أو ,قال· من غير أن يذكر قائله فهو يعني الخليل. وقد وهب الله الخليل بن أحمد ذكاءً خارقًا

الشافعي) : (واعلم أن نسبة الشافعي إلى علم الأصول كنسبة أرسطو إلى علم المنطق ، وكنسبة الخليل ابن أحمد إلى علم العروض ، ذلك أن الناس كانوا قبل أرسطو يستدلون ويعترضون بمجرد طباعهم السليمة ، لكن ما كان عندهم قانون مخلص في كيفية ترتيب الحدود والبراهين ، فلا جرم كانت كلماتهم مشوشة ومضطربة ، فإن مجرد الطبع إذا لم يستعن بالقانون الكلي قلما أفلح ، فلما رأى أرسطو ذلك استخرج علم المنطق .

وكذلك الشعراء كانوا قبل الخليل بن أحمد ينظمون أشعارًا وكان اعتمادهم على مجرد الطبع ، فاستخرج الخليل علم العروض ، فكان ذلك قانونًا كليًا في معرفة مصالح الشعر ومفاسده .

فكذلك هاهنا الناس كانوا قبل الإمام الشافعي – رضي الله عنه – يتكلمون في مسائل أصول الفقه ويستدلون ويعترضون ، لكن ما كان لهم قانون كلي مرجوع إليه في معرفة دلائل الشريعة ، وفي كيفية معارضتها وترجيحاتها ، فاستنبط الشافعي – رحمه الله – أصول الفقه ووضع للخلق قانونا كليًا يرجع إليه في معرفة مراتب أدلة الشرع ، فثبت أن نسبة الشافعي إلى علم الشرع ، كنسبة أرسطو إلى علم العقل) [١]

وتكمن أهمية هذا النص ، في أنه يضع الشافعي عند المسلمين ، في منزلة أرسطو عند اليونانيين ، ويضع أصول الفقه عند المسلمين ، في منزلة المنطق عند اليونانيين .

وفي دراسات المسلمين المعاصرين شرعيين واجتماعيين ، تكررت وتواترت أقوالهم في إعطاء أصول الفقه صفة العلم المنهجي .

<u>ومن هذه الأقوال</u> ، ما أشار إليه الشيخ / محمد مهدي شمس الدين ، الذي ظل في كتابه (الاجتهاد والتجديد في الفقه الإسلامي)، يصف باستمرار أصول الفقه بعلم المنهج ، فحين توقف عند تعريف الأصوليين على اختلاف أذواقهم ومشاربهم لعلم الأصول ، والذي يتحدد عندهم بقولهم إنه : (علم يبحث فيه عن القواعد التي يقوم عليها استنباط الأحكام الشرعية الفرعية من أدلتها التفصيلية) ، أو إنه : (علم يبحث فيه عن القواعد التي تقع نتيجتها في طريق استنباط

وفطنة كانت مضربًا للمثل في عصره. وجمع إلى ذلك تقوى وزهداً وورعًا وهمّة عالية. وقد فُتحت له مغاليق أبواب العلوم ، فهو عالم اللغة والنحو والعروض والموسيقى وكان شاعرًا. فتحت معرفته بالإيقاع والنظم له بابًا لابتكار علم العروض. فقد نظر في شعر العرب وأحاط بإيقاعاته. ودفعه حسّه المرهف وتذوقه للإيقاع لاستخراج علم العروض، حيث اهتدى إلى أوزان الأشعار وبحورها وقوافيها. وأسدى بمجهوده هذا خدمة جليلة عظيمة للشعر العربي لم يسبقه إليها سابق، وجاراه فيها من أتى بعده. وظلت تُنسب إليه إلى اليوم. وللخليل من التصانيف: كتاب العين وهو أوّل معجم في العربية؛ كتاب النّغم؛ كتاب العروض؛ كتاب الشواهد؛ النقط والشّكل؛ كتاب الإيقاع. انظر كتاب العين ، للخليل بن أحمد الفراهيدى ، ت / عبد الحميد هنداوى ، ط / دار الكتب العلمية .

[١] فخر الدين الرازي ، مناقب الشافعي ، ص١٠٠.

الحكم الشرعي) ، أو غير ذلك من التعابير التي يرى الشيخ شمس الدين أنها تتصل بالمنهج ، وتُبين أن علم الأصول هو علم المنهج[٢]

ومن هذه الأقوال أيضاً ، ما أشار إليه الدكتور حسن حنفي في كتابه : (من النص إلى الواقع) ، الذي يرى أن من السمات التي تميز الفكر الأصولي عن الفكر الكلامي ، والفكر الفلسفي ، والفكر الصوفي ، هي سمة المنهجية ، والتي تعني – حسب قوله– البحث عن نقطة بداية يقينية يبدأ بها العلم ، ثم تتوالى الخطوات بعد ذلك على نحوٍ منهجي ، من دون قفزٍ على الخطوات المتوسطة ، منذ تلقي الوحي كمعطى حتى تحقيقه كنظام مثالي للعالم ، فبعد أن يتم التلقي يبدأ الفهم عن طريق الألفاظ إلى المعاني ، ثم من المعاني إلى الأشياء ، ثم من الأشياء إلى أفعال البشر وعللها ، وبعد أن يتم الفهم يأتي التحقق ، تحقق مقاصد الوحي الكلية والفردية ، ثم الأحكام الوضعية والتكليفية.

هذه الخطوات المنهجية ، يرى فيها الدكتور / حسن حنفي أنها تجعل علم أصول الفقه أحد أشكال مناهج البحث في العلوم الإنسانية [١]

وفي قول ثالث ، يرى الدكتور / عبد الحميد أبو سليمان أن علم أصول الفقه يمثل المنهجية الأساسية في دائرة الدراسات الإسلامية [٢].

وفي سنة ١٩٨٩م قدم أستاذ الفلسفة بكلية دار العلوم في القاهرة الدكتور / عبد الحميد مدكور – دراسة حول (المنهجية في علم أصول الفقه) ، لندوة نظمتها جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية بالجزائر، بالتعاون مع المعهد العالمي للفكر الإسلامي .

في هذه الدراسة حاول الدكتور / عبد الحميد مدكور التعريف بمنهجية أصول الفقه ، والحاجة لتبيان هذه المنهجية في نظره ، كون أن أصول الفقه يعد من أهم المناهج التي توصل إليها المسلمون قديماً.

ومن جانب آخر ، فقد كان علم أصول الفقه هو من أكثر العلوم الإسلامية ضبطاً وإحكاماً وتماسكاً وأصالة ، إلى غير ذلك من أوصاف ظلت وما زالت تذكر لهذا العلم من الأزمنة القديمة حتى اليوم ، الأمر الذي يعني

---

[٢] أ / محمد مهدي شمس الدين ، الاجتهاد والتجديد في الفقه الإسلامي ، بيروت : المؤسسة الدولية للدراسات والنشر، ١٩٩٩م ، ص١٤، ١٦، ١٩، ٣٠، ٣١.

[١] حسن حنفي ، من النص إلى الواقع (محاولة لإعادة بناء علم أصول الفقه) ، بيروت: دار المدار الإسلامي، ٢٠٠٥م، ج١، ص٢٦.

[٢] عبد الحميد أبو سليمان ، قضية المنهجية في الفكر الإسلامي، صـ ٥ ، الرياض: الدار العالمية للكتاب الإسلامي، ١٩٩٥م .

ألا خشية على هذا العلم تحديداً من التأثيرات الأجنبية الفكرية والعقائدية ، التي يمكن أن تعبث بقواعده وضوابطه وأصوله ، وتحرفه عن مساره وغايته .

أما عالمنا الجليل والحافظ ابن حزم رحمه الله في الأصول فقد نحى منهجاً متأثراً بالفلاسفة ، لكنه أيضاً كان كثير الشذوذ عن السلف.

ومما يتضح جلياً في مذهب الإمام الاستدلالي ، أخذه بمذهب الاستصحاب ، وخاصة استصحاب البراءة الأصلية : فهو يكثر منه جداً ، وهو عمدته في الاستدلال غالباً.

ولم أر له موضعاً قَبِلَ فيه قول المخالف ، ولو مجرد قبول ، إلا ما رحم الله تعالى .

بل إنه يعمد إلى هدمه جميعاً ، وكثير من احتجاجاته التي قد يراها المرء قوية ، لا تخرج عن الحجج الخطابية.

ولعل كتابه " الإحكام في أصول الأحكام " خير شاهد على هذا .

وهو كتاب يبحث في أصول الفقه من حيث الألفاظ وما يتعلق بها ، والأدلة الشرعية والكلام في الأخبار وأحكامها ، وعرض للأوامر والنواهي الواردة في القرآن والسنة والعموم والخصوص ، والجمع والاستثناء والكناية بالضمير والإشارة والإعجاز والتشبيه ، والنسخ والمتشابه ، ثم تكلم في ختام الكتاب عن مبحث الإجماع ، ويعتبر من أهم مراجع كتب أهل السنة في أصول الفقه لما فيه من قوة في الأخذ بالدليل ، وكعادة الإمام ابن حزم قوي الحجة والبرهان ، ينفي القياس جملةً وتفصيلًا ، وبالجملة فإن كتاب الإحكام في أصول الأحكام من أهم وأثبت كتب أصول الفقه الإسلامي ، فهو غني بأدلة الكتاب والسنة ، بل أنه كتاب حاول فيه الإمام ابن حزم – رحمه الله – إلزام متطرفى المذهبية بالرجوع للكتاب والسنة والسلف الصالح .

أما علم العقيدة وعلاقته بالمنهج

يقوم الإسلام على الإيمان أو العقيدة التي تكوِّن القاعدة الأساسية في بناء الدين ، ومنها ينطلق المؤمن ، ويضبط كلَّ حركته بضوابطها ، وهي تفسِّر للإنسان طبيعةَ وجودِه ونشأتَه وغايتَه ، ومصيره ، وترسمُ له معالم صلتِه بالله تعالى وبالحياة والأحياء والكونِ من حوله ، وعليها تقوم أحكام الشريعة والنظام والأخلاق في كل جوانب الحياة.

وقد انصرفت عناية بعض العلماء في مرحلة من مراحل تدوين علم العقيدة إلى الجدل والرد على المخالفين بأسلوب ومنهج يتفق مع منهج أولئك المخالفين ، فتأثروا بالمنهج الفلسفي الإغريقي ، وفسَّروا القرآن على ضوء الفكر اليوناني، فكان لا بدَّ من إعادة الأمر إلى نصابه بالعودة إلى المصادر الصحيحة الموثوقة في دراسة العقيدة ؛ وهي القرآن الكريم والسُّنة النبوية.

أما العلامة ابن حزم فلا تخرج عقيدته عن عقيدة أهل السنة والجماعة رُغم مخالفته لهم في بعض المسائل كمسألة الصفات على سبيل المثال .

ولا يشك من له أدنى دراية بالعلم وأهله في فرط ذكائه وحدة خاطره وتعظيمه للسنة والأثر ، لكن الكمال عزيز ، وما من أحد إلا ويؤخذ من قوله ويترك .

المبحث الثانى : المنهج النقدى عند ابن حزم

أولاً : منهجه فى نقد نصوص التوراه

قام العلامة ابن حزم بدراسة التوراة دراسة وثائقية تقوم على أساس التحليل العلمي ، مما جعله ناقدًا تاريخيًا ليس له نظير بين مؤرخي الإسلام ، حيث قام بتفنيد كثير من الأساطير التي وردت فى التوراة بطريقةٍ علميةٍ موضوعيةٍ مدهشةٍ.

وقد اعتمد رحمه الله فى منهجه في نقد نصوص هذه التوراة على عناصر كثيرة مستمدة من منهج علماء الحديث من حيث :

١- أصولُ الرواية

٢- اتصالُ الرواية

٣- التثبتُ من أحوال الناقلين

٤- ثم الجمع بين نقد السند والمتن معاً

وقد استعان الإمام بمجموعة متنوعة من المعارف كانت بمثابة عواملٍ مساعدةٍ من أجل الوصول إلى نتائج حتميةٍ ، وغاية في الدقة والانضباط ، كتعمقه في علوم الفلسفة والمنطق ، ومعرفة التاريخ الحقيقية للدولتين اليهودية والنصرانية ، ..... وعلوم الحساب والجغرافيا وطبائع العمران الخ

وبالاطلاع على منهجه في جدال اليهود في نقده لسند التوراة ومتنها يمكن تلخيص النقاط التي اتبعها بالخطوات الآتية :

١- اطلاع الإمام ابن حزم – رحمه الله – على نسختين مختلفتين للتوراة ، وقد سجّل وصفًا دقيقًا لإحدى هاتين النسختين قلما نعثر عليه في كتابات أحد من مفكري الإسلام حيث يقول :

[إنما هى التوراة مائة ورقة وعشرة أوراق فى كل صفحة منها ثلاثة وعشرون سطرًا إلى نحو ذلك بخط هو إلى الانفساخ أقرب ، ويكون فى السطر بضع عشرة كلمة][1]

٢- (وكان يطرح الأسئلة ثم يبدأ فى الإجابة عنها ومن ذلك :-

[1] ابن حزم ، الفصل ، جـ ١ ،صـ ٢٨٥

أ / ماذا كان حال التوراة قبل أن تدون ؟

ب / لدى من كانت تحفظ التوراة ؟

ج / المكان الذي كانت تحفظ فيه ؟

د / إلى أي مدى انعكست حياة اليهود من خلال تتبع التاريخ السياسي والديني على التوراة في حالتي إيمانهم وارتدادهم عن الإيمان ؟)[٢]

وفى الإجابة على هذه الأسئلة تظهر حقيقة التوراة ، ويبدأ العلامة ابن حزم في الإجابة على كل التساؤلات قائلًا : " ونحن نصف – إن شاء الله تعالى – حال كون التوراة عند بني إسرائيل من أول دولتهم أثر موت نبي الله موسى عليه السلام إلى انقراض دولتهم إلى رجوعهم إلى بيت المقدس إلى أن كتبها لهم عزر الوراق بإجماع من كتبهم واتفاق من علمائهم دون خلاف يوجد من أحد منهم في ذلك وما اختلفوا فيه من ذلك نبهنا عليه ليتيقن كل ذي فهم أنها محرفة مبدلة وبالله تعالى نستعين "[١]

وقد أثبت الإمام ابن حزم أنه من بعد وفاة نبي الله موسى – عليه السلام – وقع بنو إسرائيل في سبع رِدات إيمانية من عهد النبي يوشع عليه السلام مرورًا بالنبي داود وسليمان – عليهما السلام – ومرورًا بالأسباط العشرة فيقول :

[فتأملوا أي كتابٍ يبقى مع تمادى الكفر ورفض الإيمان هذه المدد الطوال][٢]

ومن خلال تتبع هذا التاريخ المضطرب المليء بسنواتٍ من الكفر والإلحاد والاضطراب مما يجعل التوراة بشكلٍ قاطعٍ عرضة للتبديل والتحريف ، والزيادة والنقصان .

وهكذا عن طريق استعراض التسلسل التاريخي والسياسي لليهود والاستقراء التام لهما ، يصل العلامة ابن حزم إلى أن نص التوراة الأصلي قد تعرض من الناحيتين الزمانية والمكانية لظروف تجعلنا لا نثق بها .

ويمكن تلخيص منهجه في نقده للتوراة العبرانية بالخطوات الآتية :-

١- (تولى أمر اليهود على مدار تاريخهم ملوك يبلغ عددهم عشرين ملكًا ، لم يؤمن منهم بالتوراة إلا خمسة ، أما الباقون فكانوا يعبدون الأوثان ، ولا يتبعون التوراة)[٣]

---

[٢] د / حامد طاهر ، منهج النقد التاريخى ، صـ ٦١٣

[١] ابن حزم ، الفصل ، جـ ١ ، صـ ٢٨٧

[٢] المرجع السابق ، ١ / ٢٩٠

[٣] د / ابراهيم الحاردلو ، التوراة واليهود فى فكر ابن حزم ، صـ ٩٩

(وقد تعرضت التوراة إلى التحريف المتعمد وأحيانًا لمحاولة إعدامٍ كاملٍ ، فأي كتابٍ يبقى مع هذا ؟

٢- أن الكهنة من اليهود كان فيهم ما كان فى غيرهم من الكفر والفسق ، ومن كانت هذه صفته فلا يؤمن عليه تغيير ما ينفرد به .

٣- من القواعد المنهجية الهامة التي سجلها الإمام ابن حزم فى طيات كتاباته : (أن كل كتاب وشريعة كانا مقصورين على رجال من أهلها ، وكانا محظورين على من سواهم فالتبديل والتحريف مضمون فيهما .

٤-(وقوع غارة بخت نصر وخراب بيت المقدس ، وهو المكان الذي كانت تصل فيه النسخة الوحيدة للتوراة

وبعد ذلك كله يقطع الإمام بتحريف التوراة العبرانية ، حيث يقول : " ليتيقن كل ذي فهم أنها محرفة مبدلة ، ..... ، وأي كتاب يبقى في تمادى الكفر ورفض الإيمان هذه المدد الطوال) [١]

وخلاصة رأى الإمام ابن حزم :

أن نسبة هذه التوراة إلى نبي الله موسى – عليه السلام – غير صحيحةٍ ، وقد اعتمد الإمام – رحمه الله – على النقد العلمي للنصوص (النقد الداخلي والخارجي) المرتكز على فحص ظروف حفظ التوراة في بني إسرائيل ، وانتقالها من جيلٍ إلى جيلٍ ، وبيان حالهم ، وحال ملوكهم من الإيمان بها ، والعمل بمقتضاها ، وكان الإمام بحق – من كبار علماء مقارنة الأديان في تاريخ الإنسانية كلها .

وقد اعتمد – رحمه الله – على عقليته المتفردة في بيان تناقض النصوص على أسسٍ عقليةٍ واضحةٍ ، فقد عودنا أنه يقرأ النصوص بإمعانٍ وصبرٍ ، ثم يسارع إلى عرض آراء مخالفيه ، ثم يستخرج النتيجة التي تثبت اضطراب النص الذي يقوم بفحصه .

وبالتالي فقد اكتشف كثيرًا من وجوه التناقض بين نسخة وأخرى ، وبين سفرٍ وسفرٍ من أسفار اليهود ، بل واكتشف تناقض التوراة المزعومة مع حقيقة القرآن ، بل اكتشف مخالفة التوراة ومغالطتها في الإحصاءات والأعداد والحقائق العلمية أيضًا .

[١] ابن حزم ، الرد على ابن النغريلة ، صـ ٧٧

ثانياً : منهج الإمام ابن حزم في نقد نصوص الإنجيل

التزم العلامة ابن حزم بمنهجه الظاهري في نقد التوراة ، وكان عنيفًا في مناقشته لمناظريه من اليهود ، وهو عنفٌ أصيلٌ فيه وقد زاد من حدته هنا ، ذلك الجو العام الذي سيطر على علاقة اليهود بالمسلمين في ظل دولة البربر في الأندلس .

أما منهج العلامة ابن حزم في دراسته للنصرانية وللأناجيل الأربعة ، فإن منهجه لا يختلف عن منهجه في التعامل مع نصوص التوراة بقسميها (العبرانية والسامرية) .

بيد أنه بدأ منهجه في التعامل مع الفرق النصرانية بقوله : " وتالله لولا أنا شاهدنا النصارى ما صدقنا أن في العالم عقلاً يسع هذا الكفران " [١]

ومن الناحية المنهجية فإن الإمام ابن حزم – رحمه الله – يقسم النصارى إلى أقسام :

منهم أصحاب آريوس ، وأصحاب بولس[٢]، والبربرانية[٣] الذين يقولون بإلوهية المسيح وأمه مريم عليهما السلام – وهم فرقة قد بادت .

ثم الفرق المشهورة الملكانية (مذهب جميع ملوك النصارى) والنسطورية [٤]، واليعقوبية[٥].

وقد يعتمد في منهجه على التدرج العقلي ، وعلى نظرةٍ شاملةٍ للملل والنحل التي استطاع أن يصل إلى معرفتها وتحقيق القول في مبادئها .

---

[١] الفصل ، للعلامة ابن حزم ، (١-٤٩)

[٢] بولس الشمشاطى ، بطريرك بأنطاكية ، وكان يقول بالتوحيد المجرد الصحيح ، وكان يرى أن عيسى عبد الله ورسوله كأحد الأنبياء عليهم السلام ، خلقه الله فى بطن مريم من غير ذكر ، وإنه انسان لا إلهية فيه ، وكان يقول لا أدرى ما الكلمة ولا روح القدس دراسات فى الأديان والنحل ، د / أحمد غلوش ، صـ ٦٨٤ ، ط / مؤسسة الرسالة ، الطبعة الثانية ٢٠٠٧ م .

[٣] البربرانية : ترى هذه الفرقة أن المسيح ومريم إلاهان . انظر : دراسات فى الأديان والنحل ، د / أحمد غلوش ، صـ ٦٨٤ ، ط / مؤسسة الرسالة ، الطبعة الثانية ٢٠٠٧ م .

[٤] النسطورية العقيدة القائلة بأن يسوع المسيح مكون من جوهرين يعبر عنهما بالطبيعتين وهما : جوهر إلهي وهو الكلمة، وجوهر إنساني أو بشري وهو يسوع ، فبحسب النسطورية لا يوجد اتحاد بين الطبيعتين البشرية والإلهية في شخص يسوع المسيح، بل هناك مجرد صلة بين إنسان والألوهة، وبالتالي لا يجوز إطلاق اسم والدة الإله على مريم العذراء بحسب النسطورية، لم تلد إلها بل إنساناً فقط حلت عليه كلمة الله أثناء العماد وفارقته عند الصليب، فيكون هذا المذهب بذلك مخالفاً للمسيحية التقليدية القائلة بوجود أقنوم الكلمة المتجسد الواحد ذو الطبيعتين الإلهية والبشرية سميت هذه العقيدة باسم نسطور بطريرك القسطنطينية الذي فضل استعمال عبارة كريستوطوقس (والدة المسيح) بدلا عن الثيوطوقس (والدة الله) في وصف مريم العذراء. نشبت على أثره خلاف عقائدي بينه وبين كيرلس بطريرك الإسكندرية أدى في نهاية الأمر إلى حرمانه ومنع تعاليم مدرسة الرها المقربة منه. الموسوعة الميسرة (٢ / ١١٧١)

[٥] اليعقوبية : أتباع يعقوب البرادعى وهو يقولون بأن المسيح ذو طبيعة واحدة قد امتزج فيه عنصر الإله بعنصر الإنسان ، وتكون من الاتحاد طبيعة واحدة جامعة بين اللاهوت والناسوت وكان ذلك فى منتصف القرن الخامس الميلادى انظر : دراسات فى الأديان والنحل ، د / أحمد غلوش ، صـ ٦٨٧ ، ط / مؤسسة الرسالة ، الطبعة الثانية ٢٠٠٧ م .

(فمنهج الإمام ابن حزم الذي يحاول السير عليه – إذن – هو منهج علمي منصف بريء من الاستطراد والإخلال والتعقيد ، ويعتمد على إيراد البراهين المنتجة من المقدمات الحسية أو الراجعة إلى الحس من قَربٍ أو من بُعدٍ ، على حسب قيام البراهين التي لا تخون أصلًا)[٦]

فبدأ في نقد النصرانية بالتركيز على عقائدهم ،لأن العقيدة هي المقدمات للأحكام الشرعية التي هي مناط قبول الأمر أو رفضه .

والخلاصة :

أن العلامة ابن حزم – رحمه الله – انتقد ديانة النصرانية بكل ما فيها من كتبٍ وشرائعٍ مثل : صلاتهم ، وتعظيمهم الأحد ، وصيامهم ، ومناكحتهم ، وأعيادهم ، واستباحتهم الخنزير والميتة والدم ، وترك الختان ، وتحريم النكاح على الرهبان .

وقد أظهر في نقده لهذه التشريعات معرفة بالشعائر والطقوس النصرانية ، وهي معرفة متاحة في المجتمع الأندلسي المتعدد الديانات.

ويتلخص نقد الإمام – رحمه الله – لهذه التشريعات بأن التشريع هو حق من حقوق الله وحده ، وهو بذلك ينطلق من الآية القرآنية : (اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ وَالْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا إِلَهًا وَاحِدًا لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ سُبْحَانَهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ (٣١)) (سورة التوبة).

<u>وأقول</u> : إن عمل الإمام لم يكن مختلفاً عن سابقيه أو متميزاً عنهم ، من حيث محاور النقد وقضاياه المطروحة .

بل أيضاً من حيث القضايا غير المطروحة كعقيدة الفداء التي لم تنل من النقاد المسلمين ما تستحقه من اهتمام ، إلا أن ذلك لا يعني عدم تميز نقده للعقائد النصرانية عن غيره من العلماء المسلمين، فقد جاء نقده أكثر وضوحاً والتزاماً بقواعد مذهبه.

إلا أنه زاد على القواعد السابقة في نقد أسفار العهد الجديد من حيث طرق ورود النصوص ونقلها (النقد الخارجي) ، ثم (النقد الداخلي)، ومن حيث فحوى النصوص ومكامن الخلل والتناقض ، بالمقارنة بين النصوص ومعطيات الحواس وأولويات العقل وبديهياته.

وقد استلهم الإمام ابن حزم – رحمه الله – معرفته في علوم الحديث في صياغة منهجه في نقد الروايات والنصوص الدينية المسيحية واليهودية .

وما يميز الإمام ابن حزم رحمه الله في نقده للأديان هو التزامه بتطبيق منهج النقد الحديثي وتوسعه فيه ، ففاق في هذا المضمار نُظَراءَهُ ، وشَكَّل قفزة نوعية في تاريخ النقد الديني .

---

[٦] للمؤلف آنخل جنثالث بالنثيا ، تاريخ الفكر بالأندلس ، صـ ٢٢٢، ت / حسين مؤنس، ط / الثقافة الدينية .

ويتميز منهجه أيضًا بالوضوح والبساطة ، والرجوع إلى البرهان القائم على المقدمات الحسية أو الراجعة إلى الحس ، وأوليات العقل وبديهياته ، وهي التي أطلق عليها اسم " البراهين الجامعة الموصلة إلى معرفة الحق ."

الفصل الثاني : المنهج الجدلي عند العلامة ابن حزم

المبحث الأول : المنهج الجدلى وسماته

وقد قسمته إلى قسمين :

القسم الأول : تعريف المنهج الجدلى

القسم الثانى : أساليب المنهج الجدلى وغايته

القسم الأول : تعريف المنهج الجدلى

أ – معنى الجدل لغةً:

الجدل : [اللدد في الخصومة والقدرة عليها ، وجادله أي: خاصمه ، مجادلة وجدالًا. والجدل : مقابلة الحجة بالحجة ؛ والمجادلة : المناظرة والمخاصمة ، والجدالُ : الخصومة ؛ سمي بذلك لشدته] [(١)] .

وقال الجرجاني : (الجدل : دفع المرء خصمه عن إفساد قوله: بحجة، أو شبهة، أو يقصد به تصحيح كلامه)[(٢)]

ب – معنى الجدل اصطلاحاً :

أما في الاصطلاح فالجدل هو فن المناظرة والمعارضة ، وهو فى الأصل الحوار والمناقشة .

قال الراغب الأصفهانى : (الجِدَال : المفاوضة على سبيل المنازعة والمغالبة)[(٣)]

ويمكن استخلاص تعريف شامل للجدل ، وأستطيع أن أعبر عنه بما يلى :

« الجدل : هو علم يُمكّن الإنسان من إقامة الحجج المؤلفة من المسلّمات أو من ردها حسب الإرادة ، مع إفحام الخصم ، ورد حجته ». ومادة (جدل) وما اشتق منها وردت في القرآن على ثلاثة معان ، هي :

الأول: بمعنى الخصومة ، وهذا المعنى أكثر ما جاء عليه هذا اللفظ ، من ذلك قوله تعالى: { مَا يُجَادِلُ فِي آيَاتِ اللَّهِ إِلَّا الَّذِينَ كَفَرُوا فَلَا يَغْرُرْكَ تَقَلُّبُهُمْ فِي الْبِلَادِ (٤) } (سورة غافر) ، أي: ما

---

(١) الإمام ابن منظور ، لسان العرب ، ١١/ ١٠٥ ، ط / دار الحديث القاهرة

(٢) الإمام الجرجانى ، التعريفات ، صـ ٧٤ ، ت / جماعة من العلماء ، ط / دار الكتب العلمية ، الطبعة الأولى ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣ م .

(٣) الراغب الأصفهانى ، المفردات فى غريب القران ، صـ ١٨٩ ، ط / أم الكتاب القاهرة .

يخاصم في حجج الله وأدلته على وحدانيته بالإنكار لها ، إلا الذين جحدوا توحيده. ونحوه قوله سبحانه : { قَالُوا يَا نُوحُ قَدْ جَادَلْتَنَا فَأَكْثَرْتَ جِدَالَنَا فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَا إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ (٣٢) } (سورة هود) ، أي: قد خاصمتنا فأكثرت خصومتنا. ومنه أيضاً عز وجل: { وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَيَتَّبِعُ كُلَّ شَيْطَانٍ مَرِيدٍ (٣) } (سورة الحج)، أي: يخاصم في الله .

الثاني: بمعنى المراء ، من ذلك قوله عز وجل: { وَلَا جِدَالَ فِي الْحَجِّ } (البقرة :١٩٧)، يعني : لا مراء في الحج ، روي عن ابن عباس رضي الله عنهما ، قال: (الجدال) أن تماري صاحبك حتى تغضبه ، وعن مجاهد رحمه الله : { وَلَا جِدَالَ فِي الْحَجِّ } قال : المراء.

قال الإمام القرطبى رحمه الله : { قوله تعالى : « وَلَا جِدَالَ » الجدال وزنه فِعَال من المجادلة ، وهي مشتقة من الجدل وهو الفتل ، ومنه زمام مجدول . وقيل : هي مشتقة من الجدالة التي هي الأرض فكأن كل واحد من الخصمين يقاوم صاحبه حتى يغلبه .

<u>الثالث:</u> بمعنى الحِجَاج والمناظرة ، من ذلك قوله سبحانه : { وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ } (النحل: آية ١٢٥) ، قال ابن كثير رحمه الله : (أي: من احتاج منهم إلى مناظرة وجدال ، فليكن بالوجه الحسن برفق ولين وحُسْنِ خطابٍ)[١]

ومما جاء بلفظ الحِجَاج والمناظرة قوله عز وجل: { وَلَا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ .....} (العنكبوت :٤٦)

نخلص مما تقدم أن لفظ (الجدال) أكثر ما جاء في القرآن الكريم بمعنى (الخصومة) ، وجاء أيضاً بمعنى (المراء) ، وبمعنى (المناظرة) و(الحِجَاج)، وهو بحسب هذا المعنى الأخير محمودٌ ومرغوبٌ فيه ، وهو بحسب المعنيين الأول والثاني مذموم ومرغوب عنه.

وفى السنة النبوية : ما رواه الإمام مسلم – رحمه الله – فى صحيحه من حديث أنس بن مالك – رضى الله عنه – قال أن النبي – صلى الله عليه وسلم – قال :((جاهدوا المشركين بأموالكم وأنفسكم وألسنتكم))[٢]

قال الإمام ابن حزم – رحمه الله – : ((وهذا حديث غاية في الصحة وفيه الأمر بالمناظرة وإيجابها كإيجاب الجهاد والنفقة في سبيل الله))[٣]

---

[١] ابن كثير ، مختصر تفسير ابن كثير ، ت / محمد على الصابونى ، جـ ٢ ، صـ ٣٥٢ ، ط / دار الصابونى ، بدون تاريخ للطبعة .

[٢] الحديث رواه أبو داود وأحمد والنسائي والحاكم ، وصححه ابن حزم ، والنووي في "رياض الصالحين" ، والسيوطي في "الجامع الصغير". انظر: فيض القدير (٣ / ٣٤٤). وصححه الألباني في تخريج المشكاة (٢ / ١١٢٤) : رقم (٣٨٢١) ، و"صحيح الجامع الصغير" (رقم ٣٠٩٠).

[٣] ابن حزم ، الإحكام في أصول الأحكام (٢٩/١).

ويقول أيضًا فى تفسير قوله تعالى : [(وَلَا يَطَئُونَ مَوْطِئًا يَغِيظُ الْكُفَّارَ وَلَا يَنَالُونَ مِنْ عَدُوٍّ نَيْلًا إِلَّا كُتِبَ لَهُمْ بِهِ عَمَلٌ صَالِحٌ إِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ (١٢٠)). سورة التوبة

ولا غيظَ أغيظ على الكفار والمبطلين من هتك أقوالهم بالحجة الصادعة ، وقد تهزم العساكر الكبار ؛ والحجة الصحيحة لا تغلب أبداً فهي أدعى إلى الحق وأنصر للدين من السلاح الشاكي والأعداد الجمة وأفاضل الصحابة الذين لا نظير لهم إنما أسلموا بقيام البراهين على صحة نبوة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم عندهم فكانوا أفضل ممن أسلم بالغلبة بلا خلاف من أحد المسلمين.

وأول ما أمر الله عز وجل نبيه محمداً صلى الله عليه وسلم أن يدعو له الناس بالحجة البالغة بلا قتال فلما قامت الحجة وعاندوا الحق أطلق الله تعالى عليهم السيف حينئذ ؛ وقال تعالى : (قُلْ فَلِلَّهِ الْحُجَّةُ الْبَالِغَةُ فَلَوْ شَاءَ لَهَدَاكُمْ أَجْمَعِينَ (١٤٩)) سورة الأنعام ، وقال تعالى : (بَلْ نَقْذِفُ بِالْحَقِّ عَلَى الْبَاطِلِ فَيَدْمَغُهُ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ وَلَكُمُ الْوَيْلُ مِمَّا تَصِفُونَ (١٨)) سورة الأنبياء

ولا شك في أن هذا إنما هو بالحجة لأن السيف مرة لنا ومرة علينا ، وليس كذلك البرهان بل هو لنا أبداً ودامغ لقول مخالفينا ومزهق له أبداً ، ورب قوة باليد قد دمغت بالباطل حقاً كثيراً فأزهقته منها][١]

جـ – مفهوم المنهج الجدلي عند المسلمين

١– الجدل عند المسلمين : [هو المعرفة بالقواعد والحدود والآداب فى الاستدلال التى يتوصل بها إلى حفظ رأى وهدمه] [٢]

٢– تعريف الإمام ابن تيمية – رحمه الله – : " المنهج الجدلي هو أن تقول كلامًا حقًا يلزمك ويلزم المنازع لك أن يقوله ، وإلا ظهر عناده وظلمه " [٣]

٣– وهو الجدال بالتي هي أحسن حسب الأمر القرآني لإقامة الحجة على المخالفين .

عرفه الإمام ابن خلدون – رحمه الله – بقوله : [وأما الجدل وهو معرفة آداب المناظرة التي تجري بين أهل المذاهب الفقهية وغيرهم ، فإنه لما كان باب المناظرة في الرد والقبول متسعاً ، وكل واحد من المتناظرين في الاستدلال والجواب يرسل عنانه في الاحتجاج ، ومنه ما يكون

---

[١] المرجع السابق ، (١ / ٢٨).

[٢] الموسوعة الميسرة فى الأديان والمذاهب والاحزاب المعاصرة ، إشراف د / مانع بن حماد الجهنى ، جـ ٢ ، صـ ١٠٦٥ ، ط / دار الندوة العالمية ، الطبعة الثالثة ، سنة الطبع ١٤١٨هـ .

[٣] الإمام ابن تيمية ، الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح ، جـ ٢ ، صـ ٤٣ ، ت / على بن حسن بن ناصر وآخرون ، ط / دار العاصمة ، سنة النشر ١٤١٩هـ - ١٩٩٩م .

صواباً ومنه ما يكون خطأ ، فاحتاج الأئمة إلى أن يضعوا آداباً وأحكاماً يقف المتناظران عند حدودها في الرد والقبول ، وكيف يكون حال المستدل والمجيب ، وحيث يسوغ له أن يكون مستدلاً، وكيف يكون مخصوصاً منقطعاً ، ومحل اعتراضه أو معارضته ، وأين يجب عليه السكوت لخصمه الكلام والاستدلال.

ولذلك قيل فيه إنه معرفة بالقواعد ، من الحدود والآداب في الاستدلال ، التي يتوصل بها إلى حفظ رأي أو هدمه ، سواء كان ذلك الرأي من الفقه أو غيره] [١]

٤ –أما الإمام الجويني رحمه الله فيقول : ((الجدل هو إظهار المتنازعين مقتضى نظرتهما على التدافع والتنافي بالعبارة أو ما يقوم مقامهما من الإشارة والدلالة)) [٢]

ومن خصائص المنهج الجدلي أنه منهج علمي موضوعي للبحث والتحليل والتركيب والتفسير والمعرفة ، كما أنه منهج عام شامل كامل وكلي في كشف ومعرفة وتحليل وتفسير كافة حقائق الأشياء والظواهر والعمليات والأفكار العملية النظرية والطبيعية والاجتماعية والاقتصادية والسياسية والتنظيمية، وأيضًا يمتاز بعد مراحل تطوراته الأخيرة بأنه منهج علمي موضوعي عملي ولقد تطور المنهج الجدلى تطورًا كبيرًا وجديدًا على يد الفيلسوف الألماني هيجل الذي بلور وجسد تلك النظرية وبناها وصاغها صياغةً علميةً شاملةً وكاملةً وواضحةً وواعيةً كمنهج علمي لدراسة وتحليل الحقائق والأشياء والظواهر والعمليات وتفسيرها وتركيبها علميًا ومنطقيًا بطريقة شاملة ومتكاملة .

وعليه فالمنهج الجدلي منهج علمي ، وموضوعي شامل ، وصالح للبحوث والدراسات العلمية الاجتماعية والاقتصادية والسياسية والقانونية ، وكذلك علم مقارنة الأديان ، وقد نشأ وانبثق هذا المنهج في مجال الدراسات والبحوث الاجتماعية والسياسية والقانونية فهو إذن منهج أصيل بالعلوم الاجتماعية والقانونية .

القسم الثانى : أساليب المنهج الجدلى وغايته

غلب المنهج الجدلى على الدراسات الكلامية بحكم أنها فن دفاعى قبل كل شئ ، لا يهدف الى الكشف عن الجديد بقدر مايهدف الى الدفاع عن العقيدة .

ومادة الجدل هى مسلمات الخصوم ، والقضايا التى قد تلقى القبول عندهم بصرف النظر عن قيمتها الذاتية .

---

[١] ابن خلدون ، مقدمة العلامة ابن خلدون ، صـ ٥٤٧ ، باب : فى أصول الفقه وما يتعلق به من الجدل والخلافيات ، ت / محمد صديق المنشاوى ، ط / دار الفضيلة ، بدون تاريخ

[٢] الإمام الجوينى ، الكافية في الجدل ، صـ ٢١ ، ولهم فيه تعاريف كثيرة ، أدقها وأضبطها كما يقول الدكتور عثمان بن علي حسن تعريف الجويني . انظر : "منهج الجدل والمناظرة" (١ / ٢٧)

وأما أسلوبه الرئيس : فإنه يتسم بالتشقيق وتعديد الإحتمالات ، وكثرة الفروض ، والحجج المتوالية ، وقد تغنى عنها حجة واحدة حاسمة .

وأما غايته : فهى التغلب على الخصم وغالبًا ما يكون ذلك بإثبات الدعوى عن طريق إفساد الحجة المعارضة لها بدلًا من إثباتها بطريق مباشر .

وسائل الجدل

١- الاعتماد على مسلمات الخصوم ثم نقدها .

٢- وهو أن نبدأ من مقدمه يسلم بها الخصم ثم ننتهى إلى نتيجة يرفضها الخصم .

٣- طريقة القسمة والتشقيق الجدلى .

بأن يضع عدة فروض ثم يسعى لبيان فسادها جميعًا ما عدا واحدًا منها ، ليثبت أنه الفرض الوحيد المقبول ولا يكاد يخلو دليل من أدلتهم من أقسام متعددة واحتمالات متوالية كأن يقول : (لو صح ماقلتموه فإما كذا وإما كذا ، وإن كان الأول فلا يخلو الأمر أن يكون كذا أو كذا ، وهذه إحدى طرق الإمام ابن حزم الجدلية .

٤- طريقة الخلف : يعتمد على أسلوب القسمة بأن يردد الأمر بين إحتمالين لا ثالث لهما فى نظر المستدل فإذا بطل أحدهما وهو مايدعيه الخصم ثبتت دعواه هو بدون دليل بناء عن أن النقيضين لا يجتمعان ولا يرتفعان)[١]

المبحث الثانى : المنهج الجدلى عند الإمام ابن حزم

تختلف كتب الأديان والمذاهب فى تناول موضوعاتها فمنها ما يسلك مسلك العرض والتقرير ، ومنها ما يلتزم أصحابها بالتفنيد والدحض ، وإظهار التهافت فيما يرونه فى هذه العقائد .

وكتاب " الفصل " من النوع الذى يغلب عليه الطابع الجدلى .

لذلك يقول صاحب " معجم الأدباء " وهو يترجم للعلامة ابن حزم رحمه الله :

(..... وله مصنفات فى ذلك معروفة ، من أشهرها فى علم الجدل كتابه المسمى : كتاب الفصل بين أهل الآراء والنحل) [٢]

ولقد كان العلامة ابن حزم خبيرًا بمناهج الجدل المتعددة ، دارسًا لأصوله ، عارفًا بطرقه وأساليبه ، وهذه القدرة الفائقة فى هذا الفن كانت محل اعتراف من العلماء على اختلاف مشاربهم ، وكان

---

[١] عبد الرحمن بن خلدون - مقدِّمة ابن خَلدون ـــ دار ابن الجوزى الطبعة الأولى – القاهرة – سنة الطبع ٢٠١٠ م

[٢] الإمام ياقوت الحموى ، معجم البلدان ، ١٢ / ٢٥١ ، ط / دار الفكر – بيروت

فقهاء المالكية الذين عاصروه إذا تغلب عليهم فى الجدل اعتصموا بإدعاء أنه رجلٌ جدلىّ ، وأن فوزه ليس للحق ، وإنما لقوة جدله ، وشدته على خصومه .

وكتاب " الفصْل " يشهد للإمام ابن حزم – رحمه الله – أنه رجل جدلٍ عنيفٍ ، ومعاصروه من العلماء كانوا يعرفون فيه ذلك ، فلقد قال له أبو عبد الله محمد بن كليب – وكان مثقفًا فى كل فن – : " أنت يا ابن حزم رجلٌ جدلىّ ....." [1](٢)

أولاً : العوامل المساعدة فى استخدامه للمنهج الجدلى

من خلال استقراء كتاب " الفصل " تبينت قوة الجدل لدى هذه الشخصية الموسوعية ، وكانت قوة جدله واضحة فى كتاب الفصل وهو يدافع عن عقيدته ضد اليهود والنصارى وغيرهم ، مردها للعوامل الآتية :

١: مواهبه الشخصية

٢ : اطلاعه على كتب الفلسفة والمنطق

٣ : كثرة جدله ، وتعدد مناظراته مع الطوائف المختلفة

وهى صفات فطرية جعلته يفيد فن الجدل ، ولعل من أبرز هذه المواهب التى منحها الله له ، وكانت ردءًا له فى نقاشه وسندًا له فى جداله الذى جعل منه سلاحًا لنصرة دينه .

تلك الحافظة القوية المستوعبة التى جعلته يستولى على أبواب العلم استيلاءً ، ويحيط بشوارده ، ويعرف غرائبه ونوادره ، بصورة تبهر الألباب ، وتبعث الإعجاب والتقدير لهذا الإمام الكبير .

ولقد منح الله – سبحانه وتعالى – العلامة ابن حزم حافظة قوية ، استطاع من خلالها العلامة ابن حزم – رحمه الله – أن يحفظ أحاديث رسول الله – صلى الله عليه وسلم – حتى ارتفع إلى مرتبة الحفاظ ، وجمع علمًا كثيرًا من آثار الصحابة والتابعين مما جعله موضع الثناء من المؤرخين له والمعاصرين أيضا على السواء .

يقول الشيخ محمد أبو زهرة – رحمه الله – : [وكان لابن حزم بجانب ذلك بديهة حاضرة ، تجىء فيها إرسال المعانى فى وقت الحاجة إليها ، وتنثال عليه انثيالًا فتسعفه فى الجدال ، وتنصره فى النزال الذى كان يختار خصومه فما يبلغون شأوه ، ولا يصلون إلى غايته][2]

وجاء فى " تذكرة الحفاظ " للإمام الذهبى – رحمه الله – أنه ذُكر لابن حزم قول من يقول :

---

[1] أبو زهرة : ابن حزم ، صـ ١٨٦ ، ط / دار الفكر العربى .

[2] الشيخ / أبو زهرة : ابن حزم ، صـ ٦٧ ، ط / دار الفكر العربى .

(أجل المصنفات الموطأ ؛ فقال : بل أولى الكتب بالتعظيم الصحيحان ، وصحيح سعيد بن السكن ، " والمنتقى " لابن الجارود (ت ٣٠٧ هـ) ، " والمنتقى " لقاسم بن أصبغ (٢٤٤ – ٣٤٠هـ) .

ثم بعد هذه الكتب كتاب أبي داود (٢٠٢ – ٢٧٥هـ) ، وكتاب النسائي (٢١٥- ٣٠٣ هـ) ، ومصنف قاسم بن أصبغ ، ومصنف الطحاوي ، ومسند البزار(ت ٢٩٢ هـ) ، ومسند ابن أبي شيبة ، ومسند أحمد بن حنبل ، ومسند ابن راهويه ، ومسند الطيالسي (١٣٣- ٢٠٤هـ) ، ومسند الحسن بن سفيان ، ومسند عبد الله بن محمد المسندي، ومسند يعقوب بن شيبة ، ومسند علي بن المديني ، وما جرى مجرى هذه الكتب التي أفردت لكلام رسول الله –صلى الله عليه وآله وسلم – صرفًا.

ثم بعدها التي فيها كلامه وكلام غيره ، مثل مصنف عبد الرزاق ، ومصنف أبي بكر بن أبي شيبة ، ومصنف بقي بن مخلد ، وكتاب محمد بن نصر المروزي ، وكتاب أبي بكر بن المنذر الأكبر والأصغر.

ثم مصنف حماد بن سلمة ، ومصنف سعيد بن منصور، ومصنف وكيع ، ومصنف الفريابي ، وموطأ مالك بن أنس ، وموطأ ابن أبي ذئب ، وموطأ ابن وهب ، ومسائل أحمد بن حنبل ، وفقه أبي عبيد، وفقه أبي ثور.)[١](٢)

ومن خلال هذا النص الذى ساقه " الإمام الذهبى " يجعلنا ندرك سعة الاطلاع والثقافة المرتبة فى ذهن صاحبها فضلاً عن حضور البديهة التى جعلته يستحضر معلوماته فى وقت الحاجة إليها فيسرع بالإجابة بهذه القدرة العجيبة وهو يناقش الآخرين .

والواضح من النصوص المذكورة أن علماء اليهود وغيرهم من أهل الأهواء والنحل – ممن كانوا يجادلون الإمام ابن حزم – كانوا يلجأون للكذب والتمويه والخداع ، عندما يواجههم الإمام ابن حزم رحمه الله بالوضع والخرافة والتناقض الذى فى كتبهم .

بيد أن الإمام ابن حزم كان العالم المسلم الذى يدرك أبعاد القول فلا يجوز عليه تمويه فى اللفظ أو مغالطة فى الحجة ، أو كذب فى تغيير النص .

بل إن هذه الحجج القوية الراسخة لا تتأتى إلا لرجل كان يقرأ التوراة قراءةً واعيةً فاحصةً يحلل كل كلمة فيها ، ويوازن بين كل نصٍ وآخر ، ولا شك أن كثرة ممارسته لهذا الصنف من الجدل

---

[١] الذهبى ، تذكرة الحفاظ ، ٣ / ١١٥٠ ، ت / عبد الرحمن المعلمى ، ط / دائرة المعارف العثمانية ، سنة النشر ١٣٧٤هـ

ساعده على الوصول لغايته ، والمهارة فى المناظرة ، إلى حد شهد له به الأعداء والأصدقاء على السواء .

ويمكن أن نقول : إن هذه المجالس التى كانت تعقد ويتبارى فيها العلماء من كل دين ، ما كانت تحدث لولا سماحة الإسلام الذى ظلل بلاد الأندلس حينًا من الدهر .

ثانياً : أقسام الجدل عند الإمام ابن حزم

يقسم العلامة ابن حزم الجدل الى قسمين :

أحدهما ممدوح ، والآخر مذموم :

" فالمذموم وجهان : أحدهما من جادل بغير علم .

الثانى : من جادل ناصرًا للباطل بشغبٍ وتمويهٍ بعد ظهور الحق إليه .

وهؤلاء المذمومون هم الذين قال الله تعالى فيهم : (أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي آيَاتِ اللَّهِ أَنَّى يُصْرَفُونَ (٦٩)) سورة غافر

وقوله تعالى : (وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَيَتَّبِعُ كُلَّ شَيْطَانٍ مَرِيدٍ (٣)) سورة الحج

ويقول تعالى : " وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَابٍ مُنِيرٍ (٨) " سورة الحج

ويقول تعالى : " مَا يُجَادِلُ فِي آيَاتِ اللَّهِ إِلَّا الَّذِينَ كَفَرُوا فَلَا يَغْرُرْكَ تَقَلُّبُهُمْ فِي الْبِلَادِ (٤)" سورة غافر

فبين تعالى كما ترى أن الجدال المحرم هو الجدال الذى يجادل به لينصر الباطل ، ويبطل الحق بغير علم "[1]

أما الجدال المحمود فهو الذى يجادل صاحبه لإظهار الحق ، ويكون عالمًا بأوجه الاستدلال وطرق الإثبات ما دام يطلب الحق ولا يبغى سواه ، (وقد أوجب العلامة ابن حزم هذا النوع من الجدل لأنه من قبيل إقامة حجة الله تعالى ، ومن قبيل تبليغ رسالات الرسل ، والأمر بالمعروف والنهى عن المنكر)[2]

ولذلك حاج نبى الله ابراهيم – عليه السلام – طاغية عصره ، وقص الله علينا ذلك فى القران الكريم ، قال تعالى : [أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِي حَاجَّ إِبْرَاهِيمَ فِي رَبِّهِ أَنْ آتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ إِذْ قَالَ

---

[1] الإمام الجرجانى ، الرسالة الشريفية فى آداب البحث والمناظرة ، صـ ١٨ ، ط / مكتبة صبيح ، سنة الطبع ١٣٦٩هـ

[2] ابن حزم ، الإحكام ، ١ / ٢٤ ، ط/ دار الحديث ، سنة الطبع ١٤٢٦هـ - ٢٠٠٥م .

إِبْرَاهِيمُ رَبِّيَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا أُحْيِي وَأُمِيتُ قَالَ إِبْرَاهِيمُ فَإِنَّ اللَّهَ يَأْتِي بِالشَّمْسِ مِنَ الْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ الْمَغْرِبِ فَبُهِتَ الَّذِي كَفَرَ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ (٢٥٨)] سورة البقرة ومما أبدع فيه الإمام وهو يدافع عن رأيه فيقول : [وبالجملة فلا أضعف ممن يروم إبطال الجدال بالجدال ، ويريد هدم جميع الاحتجاج بالاحتجاج ، ويتكلف فساد المناظرة بالمناظرة ، لأنه مُقر على نفسه أنه يأتي بالباطل ، لأن حجته هي بعض الحجج التي يريد إبطال جملتها ، وهذه طريق لا يركبها إلا جاهلٌ ضعيفٌ ، أو معاندٍ سخيفٍ .

والجدال الذي ندعو إليه هو طلب الحق ونصره ، وإزهاق الباطل وتبيينه ، فمن ذم طلب الحق وأنكر هدم الباطل فقد ألحد] [١]

الخاتمة

الحمد لله الذى أعاننى ووفقنى ويسر أمرى على إتمام هذه الرسالة على هذه الصورة ، فالفضل والمنة له أولاً وآخراً .

فبعد هذه الرحلة المباركة – إن شاء الله تعالى – التى طفت من خلالها مع العلامة ابن حزم – رحمه الله – والذى تجاوز بمنهجه إلى نقد ومهاجمة أصحاب الفرق الإسلامية بأنواعها المختلفة ، وصنع لنفسه مذهباً فقهياً متميزاً يناضل من أجله ، ويدافع عنه بكل ما أوتى من قوة .

أقـــول :

هذا ما من الله به علىّ ، ثم ما وسعه الجهد ، وتوصل إليه الفهم المتواضع ، فإن يكن صواباً فمن الله ، وإن يكن فيه خطأ أو نقص فتلك سنة الله فى بنى الإنسان ، فالكمال لله وحده ، والنقص والقصور من النفس والشيطان ، والله ورسوله منه برآء ، ولا أدعى الكمال ، وحسبى أنى حاولت التسديد والمقاربة ، وبذلت الجهد ما استطعت بتوفيق الله – تعالى – ؛ وأسأل الله أن ينفعنى بذلك ، وينفع به جميع المسلمين ، إنه على كل شىء قدير ، وبالإجابة جدير .

أولاً : نتائج البحث

وبعد العرض السابق لموضوع البحث وهو [منهج الإمام ابن حزم (٣٨٤ – ٤٥٦ هـ) وجهوده فى مقارنة الأديان والعقائد] أعرض أهم النتائج المستخلصة من البحث :

١- أكدت الدراسة أن الإمام ابن حزم كان له السبق والريادة فى علم مقارنة الأديان (وهو مجال إبداعى عنده) ، بل وضع له المناهج العلمية المناسبة له ليكون علماً متميزاً ، له قواعد خاصة

[١] (٣)المرجع السابق ، (١ / ٢٤) .

.تميز العلامة ابن حزم بالأخذ بظاهر النصوص ، وهذا أمر محدود فى الأصل ، لكنه أسرف على نفسه فى ذلك حتى نفى القياس ، وترك التعليل ، وبالغ فى نفى الصفات التى ثبتت بظاهر الكتاب والسنة .

٢- وضح لنا الإمام ابن حزم مدى وعيه ، وسعة إدراكه للخبر التاريخي ، حيث اتخذ من ذلك مدخلاً أساسياً لعرض وجهات النظر عند الفرق الإسلامية ، وفي الصورة التي قدمناها نرى الجهود الطيبة لهذا المفكر الذي حاول حل هذه المسائل بالاعتماد على الخبر وجعله وسيلة من وسائل المؤرخ لفرق المسلمين، وفي تتبع ظهورها، وبيان حججهم وأقوالهم، في الوقت نفسه الذي يوضح لنا مكانة ابن حزم كمؤرخ للفرق الإسلامية، وقيمة نتاجه في هذا الميدان.

٣- بذل العلامة ابن حزم جهودًا كبيرةً فى مناهج البحث وخاصة فى علم النّقد المنهجي لنصوص العهدين القديم والجديد ، والذي لم يكتف بتأسيس علم النّقد التّاريخي والنصّي ، وإنّما بنى أيضًا مقتضيات الإيمان على الحجّة والبرهان ، ودعمها بالسّند العلمي والمنطقي ، ليطمئنّ إلى حقيقة اقتناعاته ، وأصول دينه ، عبر الدّراسة والمقارنة ، ليقيم الحجّة على صدقه القرآن أمام أديان أخرى ، رأى بعد البحث والتّدقيق ، أنّها لا تمتلك أصالة كافية ، ولا موضوعية وافية.

وكان مقصده من المقارنة والدّرس ، تجلية الحقائق والدّفاع عنها ضدّ الطّمس والزّيف والتّحريف ، وفي هذا فوائد إيمانيّة وسندات علميّة وفيرة ، ملخّصها وجود ثغرات وارتباكات كثيرة في تقديم تصوّرات مضبوطة لمسائل المعتقد والغيب والأخلاق ، في الأديان الأخرى غير الإسلام ، وهذا معنى التّصحيح والهيمنة والنّسخ أو ختم النبوّة .

٤- تميز أسلوبه بوضوح العبارة ، وسهولة المنطق ، والبعد عن التعقيد مع استرساله ، وطول نفسه فى العرض والتوضيح ، مع حدة فى اللسان ، وقسوة فى الألفاظ والعبارات .

٥- التنوع الفكرى فى الأندلس كان السبب الرئيس فى تكوين الشخصية الجدلية والنقدية للعلامة ابن حزم .

٦- يتسم نقده وجدله بالموضوعية والانصاف العلمى ، إذ إنه يأتى بأدلة الخصم كاملة ويعرضها فى أمانة شديدة ، ثم ينتقل فى نقده وجداله من مرحلة التفنيد والاثبات إلى مرحلة الإلزام والإفحام

٧- يقوم منهجه العلمى على نسق منهجى متكامل ، لكنه قد يصل به إلى حد التعصب الذى قد يؤدى به إلى سب المخالف وشتمه ، بل وتفسيقه وتكفيره أيضاً .

وأخيراً : أحمد الله العلى القدير جل فى علاه ، وأثنى عليه بما هو أهله ، وأصلى وأسلم على سيدنا محمد المبعوث رحمة للعالمين بالحق بشيراً ونذيراً ، وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً كثيراً ، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين .

ثانياً : توصيات البحث

وهى توصيات مقترحة ، يقدمها الباحث للمعهد الأسيوى ، ولجامعة الزقازيق ، ولإخوانه من الباحثين ، وللمتخصصين فى دراسة مقارنة الأديان ، عسى أن تتم الفائدة بها ، وتأتى هذه المقترحات على النحو التالى :

١- فتح المجال أمام الباحثين لدراسة جميع جوانب حياة الإمام ابن حزم العلمية والفكرية .

٢- فتح مركز أبحاث يتخصص بدراسة اليهودية والنصرانية ، والعقائد الوضعية الأخرى ، لرد الشبه الموجهه إلى الإسلام وإلى نبى الإسلام صلى الله عليه وسلم .

٣- طبع الأبحاث والدراسات التى تحدثت عن الإمام ابن حزم وحياته العلمية ، ومتابعة طبع مؤلفات ابن حزم الفقهية والسعي لاقامة ندوات دولية ثقافية وعلمية إضافة لترجمة مؤلفات الإمام ابن حزم إلى لغات أخرى ، على أن يتولى المتخصصون هذه المهمة ، مع إصدار كتاب يضم مؤلفات العلامة ابن حزم المطبوعة والمخطوطة وتعريفاً لكل منها ، بالإضافة إلى ترجمة بعض أعماله الإنسانية إلى اللغات الحية .

٤- إنشاء موقع على شبكة الانترنت باسم « الإمام ابن حزم » على أن تتولى الجامعة ذلك ، إلى جانب إحداث موقع آخر يتضمن دليلاً للباحثين والمهتمين بالدراسات التراثية العلمية والثقافية للعلامة ابن حزم .

وبعد :

فالحمد لله أولاً وآخراً ، وأسأل الله أن ينفع بهذه الصفحات القليلة ، والتى هى محاولة لباحث ناشىء ، لا أدعى أننى قمت فيها بشىء ذى بال ، ولكنى استنفذت فيها الجهد والطاقة ، واعترف بأننى سعدت واستمتعت كثيرًا بصحبة الإمام ابن حزم ، وقدراته النقدية والذهنية على إفحام خصومه .

وأشكر الله على توفيقه ؛ فإني أنسب توفيق هذا العمل إلى أهله ، فأشكر السادة العلماء الذين استفدت من كتبهم وعلمهم وسبقهم إلى معالجة هذا الموضوع المهم ، وأشرت إليهم في قائمة المراجع اعترافاً بسبقهم وأستاذيتهم ، فقد كانت دراساتهم القيمة شمعة أضاءت ومهدت لي الطريق ، وكانت سطورهم المباركة الركن الركين الذي قامت على أساساته هذه الدراسة ، فلهم مني الشكر والاعتراف بالجميل والسبق.

وأدعو ربى جل فى علاه وأرجوه أن يتجاوز عما فى بحثى من الزلل ، وأن يهىء لى فيما جانبنى فيه الصواب من يردنى إليه ، وأن يشرح صدرى لقبول الحق ، وأن يهدينى لما اختلف فيه من الحق بإذنه ، إنه سميع قريب

{ رَبَّنَا آتِنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً وَهَيِّئْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَدًا (١٠) } سورة الكهف

المراجع والمصادر

أولاً : القرآن الكريم

ثانياً : كتب السنة المطهرة

الأدب المفرد / للبخاري – ط دار الحديث – ت فريد عبد العزيز الجندي : ١٤٢٦هـ/ ٢٠٠٥م .

بلوغ المرام من أدلة الأحكام / ابن حجر العسقلاني – تحقيق محمد حامد الفقي – ط دار ابن الهيثم : ليس له تاريخ طبعة ، ورقم إيداع الكتاب ٢٠٠٤/٩٣٤٦

تقريب التهذيب / لابن حجر العسقلاني ، ت / أيمن عرفة ، ط / المكتبة التوفيقية بالقاهرة ، بدون تاريخ للطبعة .

تهذيب التهذيب ، لابن حجر العسقلاني ، ط/ دار إحياء التاريخ العربي ، سنة الطبع ١٩٩٣م .

سنن الإمام الترمذي – ط/ دار الحديث القاهرة ، طبعة عام ٢٠٠١م – ١٤٢١هـ .

سنن أبي داود – ط/ دار الحديث القاهرة ، تاريخ الطبعة ٢٠٠١م _ ١٤٢٢هـ .

سنن الإمام الدارقطنى / للإمام الحافظ الدارقطنى ، ط/ دار المعرفة بيروت – الطبعة الأولى ١٤٢٢هـ – ٢٠٠١م .

مجمع الزوائد ، للهيثمى ، تحقيق د / حسام الدين ، مكتبة القدسي ، سنة الطبع ١٤١٤ هـ .

منهاج السنة النبوية ، لابن تيمية ، ت / محمد رشاد سالم ' سنة الطبع ١٩٨٦ م

أحكام القرآن ، للجصاص الحنفي المتوفى سنة ٣٧٠ هـ ، ط / دار الفكر القاهرة ، بدون تاريخ للطبعة .

النبذ فى أصول الفقه الظاهري ، ابن حزم ، ت / محمد صبحى حسن ، ، الطبعة الأولى ، ط / دار ابن حزم – بيروت ١٩٩٣م .

من النص إلى الواقع محاولة لإعادة بناء علم أصول الفقه، حسن حنفي ، بيروت: دار المدار الإسلامي، ٢٠٠٥م .

الاجتهاد والتجديد في الفقه الإسلامي، محمد مهدي شمس الدين ، بيروت: المؤسسة الدولية للدراسات والنشر، ١٩٩٩م .

منهج الجدل والمناظرة ، عثمان على حسن ، مكتبة إشبيليا ، طبعة ١٤٢٠ هـ – ١٩٩٩م .

الوجيز في أصول الفقه ، د / عبد الكريم زيدان ، ط / مؤسسة الرسالة ، الطبعة الأولى ، سنة الطبع ١٤٣٠ هـ – ٢٠٠٩ م .

منهاج الوصول إلى علم الأصول ، للبيضاوي ، تحقيق / مصطفى شيخ مصطفى ، طبعة مؤسسة الرسالة ، الطبعة الأولى .

الفصل في الملل والأهواء والنحل / للإمام ابن حزم ، طبعة دار الحديث ، سنة الطبع ١٤٣١هـ – ٢٠١٠

موسوعة الأديان الوضعية ، د / عبد الكريم حسن بلال ، طبعة التقوى ، بدون تاريخ للطبعة

حركات فارسية مدمرة ضد الإسلام والمسلمين عبر العصور ، أحمد شلبي، طبعة القاهرة، ٨٨ م

الشيعة ، ترجمة عبد الرحمن بدوي ، طبعة القاهرة ١٩٥٨م .

دراسات في الملل والنحل ، أ / محمود مزروعة ، مكتبة ابن خزيمة – الرياض ، ١٤٢٢هـ

الصلب والفداء ، محمد رشيد رضا ، طبعة المنار – القاهرة ، بدون تاريخ للطبعة .

المسيحية ، د / أحمد شلبي ، طبعة مكتبة نون ، سنة الطبع ٢٠٠٦ م .

عبد الأحد داود : الإنجيل والصليب ، طبعة دار الفكر – بيروت ، بدون تاريخ للطبعة

العرب تاريخ موجز ، للمؤلف حتى فيليب ، طبعة دار العلم للملايين ، بدون تاريخ .

دراسات عن ابن حزم، الطاهر أحمد مكي: ط ٤، دار المعارف ١٩٩٣ م

رسالة فى فضل الأندلس ، ابن حزم ، تحقيق / إحسان عباس ، طبعة المؤسسة العربية للدراسات والنشر – بيروت لبنان ، ١٩٨٧ م .

سلسلة أعلام العرب : ابن حزم الأندلسي ، تأليف د / زكريا إبراهيم ، ط الدار المصرية للتأليف والترجمة

تاريخ الفكر بالأندلس ، للمؤلف آنخل جنثالث بالنثيا ، ت / حسين مؤنس، ط / الثقافة الدينية .

العرب تاريخ موجز ، للمؤلف حتى فيليب ، ط / دار العلم للملايين ، الطبعة السادسة

منهج النقد التاريخى عند ابن حزم ، د / حامد طاهر ، طبعة دار التراث ، ٢٠٠٥م .

الوافى بالوفيات ، للصفدى ، تحقيق / أحمد الأرناؤوط ، طبعة دار إحياء التراث ، ٢٠٠٠ م

شذرات الذهب ، للإمام عبد الحى بن أحمد العكرى الحنبلى ، تحقيق / محمود الأرناؤوط ، طبعة دار ابن كثير – دمشق –٠ بيروت ، الطبعة الأولى ١٤٠٦ هـ – ١٩٨٦ م .

النجوم الزاهرة ، الإمام أبو المحاسن طبعة دار الكتب المصرية ، تحقيق : وليام بوبر ، سنة النشر ١٣٨٣ هـ – ١٩٦٣م .

ابن حزم ومنهجه فى دراسة الأديان ، د / محمود على حماية ، ط / دار المعارف ، سنة الطبع ١٩٨٣ م .

ابن حزم حياته وعصره وآراؤه الفقهية ، محمد أبو زهرة ، ط / دار الفكر العربي ، القاهرة ، الطبعة الأولى ، سنة الطبع ١٩٥٤ م .

ابن حزم الاندلسى وجهوده في البحث التاريخي والحضاري ، د / عبد الحليم عويس ، ط / مكتبة الزهراء للإعلام العربي .

ابن حزم الأندلسي ، تأليف د / زكريا إبراهيم ، سلسلة أعلام العرب : ط الدار المصرية للتأليف والترجمة ، بدون تاريخ للطبعة .

ابن حزم وتاريخه المقارن للأديان، للراهب آسين بلاسيوس الأسبانى .

التعددية الدينية رؤية إسلامية ، د / أنيس مالك طه ، الطبعة الاولى ، سنة الطبع ٢٠٠٥ م .

ألوان ، د / طه حسين ، ط / دار المعارف ، بدون تاريخ للطبعة .

رسائل ابن حزم الأندلسي ، د / إحسان عباس ، رسالة طوق الحمامة ، الجزء الأول ، الطبعة الثانية ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر – بيروت، ط سنة ١٩٨٧ م .

منهج نقد النص بين ابن حزم الأندلسي وإسبينوزا ، للمؤلف عبد الله الشرقاوي ، لم أجد اسم الناشر ، ولا سنة الطبع .

مناهج الاجتهاد في الإسلام ، د / سلام مدكور ، مطبعة المنار ، بدون تاريخ للطبعة .

الأصول ، دراسة إيبستمولوجية لأصول الفكر اللغوي العربي / الدكتور تمام حسان، دار الثقافة ،الدار البيضاء، الطبعة الأولى ١٩٨١ م .

اجتهادات معاصرة ، د / عبد المعطى محمد بيومي ، ط / مكتبة الإيمان

مداواة النفوس ، لابن حزم ، تحقيق / قسم تحقيق التراث بدار الفاروق ، الطبعة الأولى ٢٠١١ م

محاضرات فى تاريخ العلوم ، محمود أحمد عويضة ، طبعة مكتبة الرياض ، سنة الطبع ١٩٧٩م

صون المنطق والكلام ، للإمام السيوطى ، تحقيق / على سامى النشار ، طبعة دار الكتب العلمية ، سنة ٢٠٠٢ م .

مدخل لدراسة الفلسفة ، د / حامد طاهر، ط / القاهرة ، سنة الطبع ١٩٨٥ م .

مناهج البحث لدى مفكري الإسلام ، د / النشار ، الطبعة الثانية ، الإسكندرية ، سنة الطبع ١٩٦٥ م .

نظرات في اللغة عند ابن حزم ، سعيد الأفغاني، بدون طبعة . (دمشق ، ١٩٦٣) .

محاضرات فى تاريخ العلوم ، طبعة مكتبة الرياض ، سنة الطبع ١٩٧٩م .

التعصب والتسامح بين المسيحية والإسلام ، الشيخ محمد الغزالي ، ، ط / نهضة مصر ، الطبعة الرابعة عشر ، سنة الطبع ٢٠١٧م .

تكوين العقل العربي ، أ / محمد عابد الجابري ، ط / الدار البيضاء: المركز الثقافي العربي، سنة الطبع ٢٠٠٠م

قضية المنهجية في الفكر الإسلامي ، عبد الحميد أبو سليمان. الرياض: الدار العالمية للكتاب الإسلامي، ١٩٩٥م

درء تعارض العقل والنقل ، للإمام ابن تيمية ، ت / د/ السيد محمد السيد وآخرون ، ط / دار الحديث القاهرة ، سنة الطبع ١٤٢٧هـ - ٢٠٠٦ م .

الفكر الاسترتيجى فى فهم التاريخي ، للمؤلف / جاسم محمد سلطان ، الطبعة الأولى ، ط / مؤسسة أم القرى ، سنة الطبع ٢٠٠٥ م .

مقال بعنوان : ابن حزم الفيلسوف الاندلسى الذي أرخ لمجتمع الطوائف ، مجلة العربي الكويتية ، العدد ٦٨ ، يونيو ١٩٦٤ م

مقال للدكتور حسين مؤنس عن ابن حزم في مجلّة العربي العدد ٥٧.

مقال بعنوان : عقيدة اليهود في الإله من خلال العهد القديم – دراسة نقدية فى ضوء القرآن الكريم ، د. سليمان بن قاسم بن محمد العيد ، تاريخ المقال ١٤٢٨/١٢/٢٧ هجري .

مقال : ابن حزم الأندلسي وأثره في الفكر الإسلامي ، علي محمد فرغلي ، مجلة الحضارة الإسلامية (١٩٩٦م) (عدد٢)

مقال بعنوان : فلسفة التاريخ عند ابن حزم الظاهري ، للأستاذ / عبد السلام سعد ، مجلة الواحات للبحوث للدراسات ، (معهد الفلسفة جامعة الجزائر ، العدد ٩ ، (٢٠١٠) م .

المنهج الأرسطى والعلوم الكلامية والفقهية في الإسلام ، للأستاذ الدكتور / إبراهيم مدكور ، وهو مقال ترجمه د / حامد طاهر ، في مجلة الثقافة ، سنة ١٩٧٩ م .

مقال بعنوان : دور ابن حزم في تأسيس علم مقارنة الأديان ، سعيد كفايتي ، مجلّة التّسامح ، وزارة الأوقاف والشّؤون الإسلاميّة ، سلطنة عمان، العدد ١٢.

مقال بعنوان : المدرسة المالكية بالأندلس ، أ / توفيق بن أحمد الغلبزوري: مجلة الشريعة والدراسات الإسلامية ، العدد ٦٣، الكويت ٢٠٠٥م .

الرسائل العلمية

رسالة ماجستير بعنوان : جهود ابن حزم فى جدال اليهود ، للباحث / عماد جميل عبد الرحمن ، إشراف دكتور / جابر زايد السميرى ، سنة ٢٠٠٧م ، الجامعة الإسلامية – غزة .

رسالة ماجستير بعنوان : ابن حزم الأندلسى حياته وفلسفته ، إعداد الباحث : إسماعيل مصطفى إسماعيل اليوسف ، تاريخ المناقشة ١٣٩٧ هـ، رسالة مقدمة إلى معهد الآداب الشرقية فى جامعة القديس يوسف – بيروت – لبنان .

رسالة ماجستير بعنوان : الضوابط الفقهية عند ابن حزم من خلال كتابه المحلى ، إعداد : عبد الله سالم عبد الله سعيد ، الرقم الجامعي (٤٢٤٨٠١٠٣) ، إشراف د / ناصر بن عبد الله الميمان ، ١٤٢٧هـ .

رسالة ماجستير بعنوان : ابن حزم وموقفه من الفلسفة والمنطق والأخلاق ، تأليف : وديع واصف مصطفى (رسالة ماجستير فى الفلسفة – كلية الآداب جامعة الإسكندرية)

بحث كتبه فضيلة الشيخ الدكتور إبراهيم بن عبد الله اللاحم بعنوان : (تفرد الثقة بالحديث) وقد نشرته (مجلة الحكمة في عددها (٢٤) بتاريخ محرم ١٤٢٣ هـ ، وهو يقع في (٤٠) صفحة

رسالة دكتور/ خليل إبراهيم الكبيسي ، المرجئة نشأتها، عقائدها ، فرقها وموقفها السياسي ، رسالة ماجستير غير منشورة (جامعة بغداد ١٩٧٥) .

منهج ابن حزم في دراسة الفرق (من خلال كتاب الفصل فى الملل والنحل) ، رسالة دكتوراه : للباحث / صالح بن ضيف الله بن عواض الحميدى ، إشراف / د / يحيى محمد ربيع ، سنة ١٤٢٩هـ .

علم الملل ومناهج العلماء فيه ، د. أحمد عبد الله جود ، طبعة دار الفضيلة – الرياض ، سنة النشر ١٤٢٥هـ – ٢٠٠٥ م ، وأصل هذا الكتاب رسالة ماجستير .

عبد الله بن سبأ وأثره في إحداث الفتنة في صدر الإسلام ، د / سلمان العودة ، رسالة ماجستير .

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين

الملخص

تسعى الدراسة إلى تحقيق عدة أهداف منها إظهار جهود الإمام ابن حزم في نقد الأديان والعقائد وخدمة جانب نقد الأديان في إنتاج الإمام ابن حزم الفكري وهو مجال إبداعي عند هذا الإمام الجليل. وتوصلت الدراسة إلى أكدت الدراسة أن الإمام ابن حزم كان له السبق والريادة فى علم مقارنة الأديان (وهو مجال إبداعى عنده) ، بل وضع له المناهج العلمية المناسبة له ليكون علماً متميزاً ، له قواعد خاصة . كما تميز العلامة ابن حزم بالأخذ بظاهر النصوص ، وهذا أمر محدود فى الأصل ، لكنه أسرف على نفسه فى ذلك حتى نفى القياس ، وترك التعليل ، وبالغ فى نفى الصفات التى ثبتت بظاهر الكتاب والسنة .

Abstract

The study seeks to achieve several objectives, including demonstrating Imam Ibn Hazm's efforts in criticizing religions and beliefs and serving the aspect of religious criticism in the production of Imam Ibn Hazm al-approach, which is a creative field for this great Imam, and clarifying the approach of Imam Ibn Hazm in his criticism. The the study confirmed that Imam Ibn Hazm was a pioneer in the science of comparative religions (which is a creative field for him), but he developed the appropriate scientific methods for him to be a distinguished science, with special rules. The scholar Ibn Hazm was also distinguished by adopting the apparent meaning of the texts, and this is a limited matter in the origin, but he was extravagant on himself in that until he denied the analogy, left the reasoning, and exaggerated the negation of the qualities that were proven in the apparent meaning of the Qur'an and the Sunnah.